المعاجم العربية / المدارس المعجمية.

استكمالا لموضوع المحاضرة السابقة و وقوفا عند مرحلة تأليف المعجمات اللغوية العامة، نلج موضوع المدارس المعجمية.

مدرسة الخليل/الترتيب على مخارج الحروف الصوتية:

يعتبر الخليل بن أحمد الفراهيدي رائد المعجمات الأول في العربية ، فقد ابتكر طريقة جديدة في ترتيب الحروف على مخارجها الصوتية ، إنطلاقا من علمه الواسع بالموسيقى.

رفض الفراهيدي الترتيب الأبجدي الذي اقتبسه العرب عن الفينيقيين وعدد حروفه اثنان و عشرون حرفا ، و أضافوا إليها الروافد التي ينفرد بها العرب عن غيرهم في اللغات الساميةالأخرى و هي (ث خ ذ ض ظ غ ء)أما سبب رفضه لهذه الترتيب كونه لا يستند إلى مبدأ معين ، أو منهج محدد، و لأنه يبدأ بالهمزة و هو حرف لا يستقر على قرار.

كما رفض الترتيب وفق الأشباه و النظائر الذي وضعه نصر بن عاصم الليثي بتكليف من الحجاج بن يوسف الثقفي ، لأنه مبني أصلا على الرسم و الكتابة، بينما اللغة قوامها الأداء و النطق .

و خرج الفراهيدي بطريقته الصوتية التي ترتب الحروف وفق خروجها من الحلق صعودا من الأدنى إلى الأعلى، بدءا من الحلق و انتهاء بالشفتين ، لأن أساس اللغة في نظره النطق و ليس و ليس الرسم ، أما الفم فهو الأداة التي تكون الحروف و تطلق الأصوات.

و هكذا قام الخليل بوضع سلَمه اللغوي، بعد دراسته للحروف العربية ، فرتبها بشكل آخر يتناسب مع مخارجها الصوتية، و ألف كتاب العين و رتبه وفق الطريقة الصوتية التي ابتكرها و جعله كتبا على عدد حروف الهجاء بعد أن سمي كل حرف كتاب ، وابتدأه بكتاب العين، لأن حرف العين هو أول حرف من

حروف الهجاء عنده ، و قد سمي الكتاب في جملته بكتاب العين من باب تسميته الكل بالجزء.

كتاب البارع : ألفه أبو علي القالي البغدادي، و هو أول معجم يظهر في الأندلس ، و قد اتبع القالي في كتابه طريقة الخليل و منهجه فبنى معجمه على مخارج الحروف دون التزام دقيق بترتيبه، حيث بدأ بالهمزة ثم الهاء ثم العين ثم الغين ، و هو أقرب إلى ترتيب سبويه. و قد اتبع أيضا مبدأ التقاليب ، كما التزم للمرة الأولى في المعجمات اللغوية بضبط الألفاظ التي يخاف عليها اللبس بالعبارة (ضبطها بالشكل).

تهذيب اللغة: ألف أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري هذا الكتاب و هو من أوثق معجمات اللغة العربية و أكثرها استيعابا نظرا لاتساع الثقافة في القرن الرابع الهجري، و اطلاع المؤلف على الرسائل و كتب اللغة التي ألفت قبله طيلة قرنين من الزمن، و قد قصد الأزهري تهذيب اللغة العربية ، فوضع خطة صارمة أثناء روايته و تدوينه اللغة تعتمد على السماع المباشر عن العرب، و الرواية عن العلماء و النقل عن الصحف المكتوبة بخطوط ذوي المعرفة الثاقبة شريطة أن توافق معرفته أيضا.

يوجد من كتاب (تهذيب اللغة) ثماني عشرة نسخة مخطوطة في مكتبات العالم ، أقدمها و أفضلها نسخة موجودة في المدينة المنورة.

المحيط: وهو من تأليف الصاحب بن عباد، اتبع فيه منهج الخليل و الأزهري في ترتيب الحروف و القلب ، كما اتبع الأزهري في تقسيم الأبواب إلى الثنائي المضاعف، الثلاثي الصحيح ،الثلاثي المعتل، اللفيف، الرباعي ، الخماسي،إلا أنه لم يتقيد بمنهجهما كل التقيد لا سيما في إغفال الشواهد و المراجع، وإهمال ذكر من أخذ عنهم من العلماء في الغريب و النوادر بغية الاختصار، و مع ذلك جاء معجمه كبير الحجم .

مدرسة البرمكي/ الترتيب على أوائل الأصول:

و قد مرت هذه الطريقة بعدة مراحل من التطور قبل أن تصل شكلها المؤلوف في المعجمات الحديثة . و يعد الإمام البرمكي رائد هذه الطريقة في الترتيب، علما أنه لم يؤلف معجما ،بل أعاد ترتيب كتاب الصحاح للجوهري وفق أوائل الأصول، و المعروف أن هذا المعجم مرتب أصلا على أواخر الأصول و ليس على أوائلها.و من المعجمات العربية التي سارت على هذه الطريقة (كتاب الجيم)للإمام الشيباني و كتاب(جمهرة اللغة)لابن دريد .

و من الكتب الأخرى التي رتبت مفرداتها على هذه الطريقة كتاب (مقاييس اللغة)لابن فارس و اتصف بالتركيز و الإيجاز ميلا منه إلى الاختصار مع تحري الألفاظ الصحيحة و ذكر المشهور من الشواهد فقط. واهتم أيضا الزمخشري في كتابه (أسرار البلاغة) ببلاغة اللغة العربية و إظهار جمالها منطلقا من تفهم القرآن الكريم و تدبره و إظهار بلاغته ، فهو لم يقف في شروحه عند حدود الألفاظ المفردة بل تعداها إلى التراكيب ، و أفرد المجاز عن الحقيقة، و هي خطة تفرد بها عن معجمات اللغة العربية التي ألفها غيره.

مدرسة الترتيب على أواخر الأصول :

أي ترتيب الألفاظ داخل المعجمات على الحرف الأخير من أصل الكلمة و ليس على حرفها الأول، بحيث يتم البحث عن لفظة (كتب) في حرف الباء بدلا من الكاف ، و لفظة (درس)في حرف السين بدلا من الدال . و يعد الإمام الجوهري رائد هذه الطريقة في الترتيب خالف فيها الطرائق الأخرى التي سبقته ،عندما رتب الألفاظ داخل معجمه (الصحاح) تبعا لأواخر الأصول . كما أهمل نظام التقاليب و الأبنية التي اعتمدتها تلك المعجمات و ظلت تعتمدها سنينا طويلة، و بذلك خلص المعجم من تعقيداته و بلغ به مرتبة أفضل بكثير من حيث التهذيب و التبويب، و قد تحدث ياقوت الحموي عن هذا العمل في كتابه(معجم الأدباء).

و قد اعتمدت أضخم المعجمات العربية وأغزرها مادة هذه الطريقة في التبويب و الترتيب ، مثل كتاب (لسان العرب) لابن منظور الذي يستوعب أكبر قدر من ألفاظ اللغة العربية ، و يعد دائرة معارف في اللغة و التفسير و الحديث و الأدب.و كتاب (القاموس المحيط) للفيروز أبادي الذي انتهج نفس الطريقة و جمع

فيه كل مفردات اللغة التي ذكرها السان، و هو من كثرة تداوله ، غاية في الإيجاز و مترجم إلى اللغة اللاتينية.